كلمة العدد

ان الاسلام دين يعنى بالجهد والعمل أكثر مما يعنى بالفكر والنظر يات . ولاشك أن كل عمل جاد بنّاء يحتاج الى نظرية تنشئه وتدعمه ، ولا ريب أن الاسلام أيضا يقدم نظرية جامعة يدعوا الناس الى الايمان بها ، وتقوم أسسه على فكر محكم حكيم ، دعائمه قوية متينة ، ولكن المنطلق الحقيقى الذى ينطلق منه القرآن هو منطلق العمل الصالح ، فيريد أن يخرج بالناس من مجالس الفكر الى معارك العمل ، ويتوجه بهم من عالم النظرية الى عالم الواقع ، ومن البحوث الفلسفية البحتة الى الباقيات الصالحات التى هى عبارة عن العمل الصالح لاغير . فان الفكر الذى لايتبعه عمل ، والنظرية التى لايتلوها تطبيق واقعى ، والفلسفة التى لاتمت بواقع الحياة بصلة لاجدوى لها ، ولا تسمن ولا تغنى من جوع -

لعل من النتائج المنطقية لتركيز الاسلام على العمل دون النظريات الفلسفية البحتة أنه يهتم بأهداف الاشياء ومقاصدها ، أكثر مما يعنى بصورها وأشكالها ، ويعطى الاولوية لبواطن الأشياء على ظواهرها ، ولحقائق الأمور على مظاهرها ، فالاهمية الأساسيةفى

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الاســـلام للمقاصد والأهداف ، ولروح الأشياء وحقائقها دون أشكالها وصورها .

ولكننا نرى على العكس من هذا أن الفكـر الغـربـى الأوربـى يختلف من الفكـر الاسـلامى فى هذه الناحية ، فأهل الغـرب يصـرّون على مظاهر الأشياء أكثر ممايصـرون على حقائقها ، ويركزون علـى اشكال الأمور وصورها دون مقاصد ها وأهدافهـا .

وقـد أثر هذا الاتجاه تأثيرا بليغـا فى جميع نواحى حياتنا اليومية ، الفـردية منها والاجتماعية ، ولعل الأشد تأثرا بهذا الاتجاه من جوانب حياتنا هو الجانب السياسى ، فانه تصبغ بصيغة غـربية بحتة ، فابتداءا من المصطلحات اليومية إلى المؤسسـات والادارات تأسس كل شئ على أسس أوربية ، ومالم يتصبغ حتى الآن بالصبغة الغـربية تصبغا تاما فكل يحاول ويسعى إلى تطبيعه بطابع الغـرب وقلبه فى قالب أوربا ، وقدأدى بنا المطاف إلى أننا أصبحنا الآن لانقدر على تفكيـر جدى أصيل فى حل قضايانا السياسية والاجتماعية ، ولعلنا لانكاد نجدلها حلاّ إذا غضضنا النظـر عما يجرى فى العالم الغـربى ، وهل هذا إلا استعباد فكرى كريه ؟

إن من التقاليـد الأوربية العلمـانية هو التوكيـد علـى الادارات والمؤسسات والتجاهل عن المقاصد والأهـداف ، واعطـاء الأولـوية لظواهر الأشياء والتغافل عن بواطنها ، ومنح الأهمية لمظاهر الأمور وأشكالها دون روحها وحقائقها . ولاشك أن هذا الاتجاه هو من بقايا المدنية الرومانية الالحادية التى جعلت الناس يقدسون الادارات التى لا روح فيها ، ويحطون من مرتبة الكائن الحى السميع البصير الذى يرفعه القرآن إلى مرتبة خليفة الله فى كونه .

إن القرآن الكريم ـ وهو كتاب يبين عن فطرة الله التى فطر الناس عليها لايعترف بهذه الأشياء المجردة الغير حقيقية التى لاوجودلها فى عالم الواقع ، فنرى القرآن يخاطب الفرد الانسانى ، ولايخاطب الجماعات والادارات والمؤسسات المجردة الغير حقيقية ، فلانجد فى القرآن كلمات العائلة والأسرة ، والدولة والحكومة ، والقضاء والحسبة ، وأهل الحل والعقد أو أهل الشورى ، وذلک لأن هذه الجماعات والهيئات لاوجودلها بدون الافراد الذين يشغلونها والشخصيات التى تجعلها كائنة حية .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرف عنايته دائما إلى إصلاح لفرد وتربيته ، ومن خلال تربية الفرد وإعداد الفرد المسلم المؤمن حقق أهدافه الاجتماعية ، فانه ألقى الضوء على أهمية العائلة والأسرة ، ولكن فى ضمن إصلاح الأفراد ـ الزوجين والأولاد ، ولم يؤسس الدولة الاسلامية إلا من أجل تحقيق الأهداف الاجتماعية للأفراد ، وجلس للحكم والقضاء وعين الحكام والقضاة للمحافظة على حقوق الأفراد ، وشرع بأمر الله الشورى لتكون أمور الناس وقضاياهم بأيدى أناس من أمثالهم ، ولايحكم الرجال الرجال ، بل ليكون الأمر كله لله، ويكون رب الناس واله الناس حاكم الناس وملک الناس وشارع الناس،

إن الذين تغافلوا عن الفرد وصرفوا عنايتهم عنه الى الادارات لفاقدة للروح والمؤسسات الخالية عن الحيوية وأولوا الأهمية للمؤسساتية ، اذا جاز التعبير ، على حساب العوامل الأخرى وعلى حساب الفرد الانسانى ذى الروح والشخصية المحترمة ، وذى الحركة والحرارة ، رأوا نتائج هذا التغافل وخسائر هذا التجاهل بأم

أعنيهم ، فـــان الفرد الانسانى ـ ذلك العالم الأصغر وتلك الثروه القيمـــة التى لاتدانيها ثروة ولا تضاهيها قيمـــة ـ قد فقد حيويتـه وضاعت منه حرارته ، بل ضاعت عنه شخصيته ، وذابـت هويتـه فى بوتقـــة الاجتماع المهيمن ، ويقول الفرد ـ بلسان الحال :

أضاعونـــى وأى فتـى أضاعوا
ليـــوم كـــريهـه وســـداد ثغـــر